

الحدثة والتحييزات الفكرية والتعصب المذهبي وأثرها على التعليم الإسلامي في إفريقيا

أ.د حسن مكى محمد أحمد

"الوافدون" من جنوب السودان الى ولاية النيل الأبيض (السودان) ليسوا مواطنين ولا نازحين ولا لاجئين: ماذا هم؟

أ.د ادريس سالم الحسن

إستشراف مستقبل نهضة إفريقيا: دراسة تحليلية فى ضوء سؤال المستقبل : كيف تستعيد المجتمعات نهضتها من جديد؟

د. محمود محمد على-د. مصطفى خليف محمد

نحو شراكة إستراتيجية للتعاون التركي الإفريقي في القطاع الزراعي (السودان ، إثيوبيا، تركيا نموذجاً)

د. مهدي ذهب حسن ذهب

استشراف مستقبل نهضة إفريقيا

(دراسة تحليلية في ضوء سؤال المستقبل، كيف تستعيد المجتمعات نهضتها

الحضارية من جديد؟)

د. محمود محمد علي*

د. مصطفى خليف محمد أبوزيد*

المستخلص

يتناول هذا البحث موضوع استشراف مستقبل نهضة إفريقيا (دراسة تحليلية في ضوء سؤال المستقبل، كيف تستعيد المجتمعات نهضتها الحضارية من جديد؟) وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنَّ الحضارات تبدأ بفتح فضاء السؤال، والمفكر الإفريقي تائه بين ثلاث محطات محيرة، وهي: 1. التحسر على الماضي. 2. التألم على الحاضر. 3. أزمة استشراف المستقبل والمصير.. إلى أين نحن ذاهبون؟ ولكي نبني مستقبلاً جديداً، نحتاج إلى ماضٍ جديدٍ، ممَّن أبدعوا فكراً، وعملاً، من خلال اكتشافهم معاني جديدة، للبناء الحضاري، وتسلسل مكوناته؛ ليشمل: عالم الأفكار، وعالم العلاقات، وعالم المشروعات الحضارية، ونجد هذا الماضي المتجدد في أفكار مالك بن نبي؛ بتحديد أحسن الشروط لإيجاد التاريخ الحضاري في أقل زمن ممكن، وربط ذلك بالمستقبل، لأن المستقبل هدف بعيد، فقال - في أنشودته الرمزية في الباب الأول من كتاب شروط النهضة - "ابذر أخي الزارع من أجل أن تذهبَ بذورك بعيداً عن حقلك، في الخطوط التي تتأوى عنك... في عمق

* جامعة العلوم الإسلامية- ماليزيا.

* جامعة العلوم الإسلامية- ماليزيا.

المستقبل" وتجاوز فكر مالك بن نبي بلده الجزائر، وتعدّى بعبقرفته حدود الجزائر إلى إفريقيا، وآسيا، في كتابه " فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ عام 1955م" وخصّ إفريقيا باهتمام خاص؛ في كتابه " مشكلات الحضارة - من أجل التغيير ص78" فذكر مهمة النخبة الإفريقية في مرحلة ما بعد التخلص من الاستعمار" ومن أقواله الماثورة في كتابه شروط النهضة ص9؛ قوله: " لكي لا نكون مستعمرين؛ يجب أن نتخلص من القابلية للاستعمار" ، وحذر من الاستقلال المزيف، وانعدام رؤية مستقبلية للتحرير؛ في كتابه مشكلات الحضارة - من أجل التغيير؛ ص64: فقال: " إن الحرية عبءٌ ثقيل على الشعوب التي لم تُحضّر لها نُخبُها لتحمل مسؤوليات استقلالها" و الاكتفاء بتكرار شعارات: فليسقط الاستعمار، والاستعمار الجديد، والإمبريالية؛ دون التأمل في الحل الجذري للمشكلات الحضارية من خلال فحص الأفكار المطروحة لمعالجة قضايا المستقبل بعمق شديد، وتحليل دقيق ووثيق بالتاريخ لاقتراح الحلول العلمية لمعالجة المعضلة الثلاثية في إفريقيا، وهي: 1. الإنسان الأمي. 2. التراب البائر. 3. الفرص الضائعة (الوقت)؛ ولكي ننزع الاستعمار عن الأرض؛ يجب أن ننزعه عن الأذهان، وهنا يأتي دور البناء الثقافي للشعوب؛ يقول مالك في كتابه، مشكلات الحضارة - من أجل التغيير، ص82: " فإن شعباً يناضل ضد الإمبريالية يجب ألا ينام على أكاليل انتصاره الأول" بل عليه إنتاج مستقبل جديد من خلال محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية: كيف نفهم الواقع قبل الشروع في تغييره؟ كيف نُؤدّ أفكاراً جديدةً لمشكلاتنا الجديدة؟ ما أبرز أزمتنا العالقة بلا إجابات مقنعة على المستوى المحلي لمجتمعاتنا؟ كيف نتعلّم من أخطائنا الماضية؟ والتحدي الأكبر أمام جيلنا

هو: غياب رؤية استراتيجية يسترشد بها الجيل القادم على صعيد الممارسة والتطبيق العملي، لإيجاد مستقبل إيجابي جديد في قارة إفريقيا، وهي حلول صعبة ولكنها غير مستحيلة إذا توافر التخطيط بالرؤية بدلاً من عقول إطفاء الحرائق للنهوض بإفريقيا.. قارة المستقبل.

Abstract

This research examines the future of the Renaissance of Africa (an analytical study in the light of the question of the future, how can societies regain their civilization renaissance? The importance of this study is that civilizations begin to open the question space. The African thinker is lost among three puzzling stations, namely: 1. the pain of the past. 2. The pain of the present. 3. The crisis of looking ahead and destiny. Where are we going? In order to build a new future, we need to inspire the intellectual heritage of creative people in the path of civilizational building. This includes the world of ideas, relationships, and civilizational projects. We find this renewed past in the ideas of Malik bin Nabi, who set the best conditions for the creation of civilized history in the shortest possible time, and linking it to the future, because the future is the distant goal. In his symbolism in the first section of the book of conditions of renaissance: "My farmer brother, put seed, in order to go away from your field deep into the future". The thought of Malik

bin Nabi surpassed his country Algeria, and reached Africa and Asia. In his book "Asian African idea in light of the Bandung Conference in 1955" singled out Africa with special interest; in his book "Problems Elhoudarh- for change p. 78," he recalled the elite African mission in the post-elimination of colonialism ". In his book "The Conditions of the Renaissance", p. 9, he said: "In order not to be colonized, we must get rid of Susceptibility to colonialism". He warned against false independence, and the lack of a vision of future liberation; in his book The Problems of Civilization - for Change; p. 64: "Freedom is a heavy burden on peoples not brought by their elites to assume the responsibilities of their independence". Repentance of slogans: Down with colonialism, neo-colonialism and imperialism; without contemplating a radical solution to the problems of civilization by examining the ideas put forward to deal with the issues of the future in great depth and accurate analysis of history to propose scientific solutions to address the triangular dilemma in Africa, namely: 1. The illiterate man. 2. Bright soil. 3. Missed opportunities (time). In order to remove colonialism from the ground, we must keep it out of sight. Here comes the role of the cultural construction of the peoples; Malik says in his book, the problems of civilization for change, p. 82: "The people of struggle against imperialism must not sleep on the first victory garlands". Rather, he has to create a new future by trying to answer the following

questions: How do we understand the reality before we begin to change it? How do we generate new ideas for our new problems? What are our outstanding crises that have no convincing answers at the local level of our societies? How do we learn from our past mistakes? Is our battle still a battle for survival or development? The greatest challenge for our generation is the absence of a strategic vision to guide the next generation in practice. Thus, this study discusses the ideas of Malik bin Nabi in his books specialized in the renaissance and its conditions; to create a new positive future in the continent of Africa, which is difficult solutions, but not impossible if the adoption of planning based on the vision rather than the mentality of extinguishing fires to achieve Africa's renaissance, the continent of the future

مقدمة:

سؤال المستقبل لماذا؟ لا جدوى من السرعة إذا كنتَ تجري في الاتجاه الخاطئ يقول عملاق السياسة السودانية المرحوم محمد أحمد محجوب؛ في كتابه نحو الغد: "لا خير في حركة قومية، أو سياسية؛ لا تدعمها ثقافة حقّة، وخلق رصين، ومقدرة على تعرّف صعاب الحياة، والخروج منها بلباقة، وحسن تدبير.. لوضع الأساس لنهضة قومية في شتى فروع الحياة" (محجوب 1999: 3) وسؤال: كيف نمهد لما هو آت؟ ظل يؤرق مضاجع الآباء المؤسسين للحركات الوطنية على مستوى قارة إفريقيا، منذ بزوغ فجر الاستقلال الوطني من الاستعمار الأوروبي، فرغم مظاهر الوحدة الوطنية في مواجهة الاستعمار، والنضال المشترك ضد العدوان الخارجي، إلا أنّ تجربة الحكم الوطني ما زالت تشكّل تحدياً كبيراً أمام القوى السياسية والنخب المثقفة، لبلورة الإرادة الوطنية المشتركة حيث عجزت النخب السودانية عن التراضي على مشروع وطني مستقبلي قويم لنقل الوطن من مصاف الدول النامية، إلى مصاف الدول المتقدمة، من خلال امتلاك تصور فكري عن المستقبل يستجيب للتحديات التي يطرحها الواقع العملي لكل مرحلة مستقبلية، وبعد تجربة 63 عاماً من التيه السياسي في السودان، ما زال سؤال المستقبل مطروحاً: (كيف نتوصّل إلى بناء رؤية استراتيجية مستقبلية قادرة على انتشال البلاد من وضعها الراهن؟ (إدريس 2016 : 444) فحتى ثورة 11 أبريل 2019م إذا لم تتحسّس الرؤية المستقبلية لإنجاز مشروع الدولة الوطنية من خلال التراضي الاجتماعي، والتوافق السياسي، سينحصر إنتاجها الفكري في شعار (تسقط بس) وستكون حلقة جديدة في الدائرة الخبيثة التي حدّرَ منها الخبير الاستراتيجي السوداني

الدكتور/ محمد حسين أبو صالح في كتابه، التخطيط الاستراتيجي القومي؛ فالسودان منذ الاستقلال (1956 - 2019) ظل يراوح في دائرة خبيثة ذات سبع دوائر، تبدأ بدائرة الأداء الحكومي الضعيف في حالات الديمقراطية، وحكم الأحزاب، تليها دائرة الإحباط الشعبي، والتي تُفسي إلى الدائرة الثالثة، وهي، الثورة الشعبية، وتنتج بدورها إسقاط الأنظمة العسكرية، التي أفرزت حكم الفرد الواحد بلا نظام، ولا تنمية مستدامة، فتأتي دورة الوضع الانتقالي المتعجل، من خلال إجراء الانتخابات التي تتمخض عن فوز الأحزاب التقليدية بأغلبية بسيطة، لا تمكنها من التشكيل الوزاري منفردة، والدائرة السابعة تنتهي بتشكيل حكومات ديمقراطية شكلياً، وضعيفة الأداء عملياً، لتبدأ الأسطوانة من جديد، بالإحباط الشعبي، والاستعداد للحكم العسكري من جديد، من خلال أحزاب تحت الكاب، كما في تجربتي: الشيوعيين في انقلاب 25 مايو 1969 بقيادة العقيد جعفر محمد نميري، والإسلاميين في تجربة الإنقاذ 31 يونيو 1989م بقيادة العميد عمر حسن أحمد البشير؛ وكل ذلك سببه غياب رؤية وطنية استراتيجية شاملة، تغطي كافة المجالات، وبمشاركة كافة الأطراف، يتم فيها تحديد ما نرغب في تحقيقه في المستقبل، وتحديد المهام والواجبات، وأهم العقبات التي تعترضنا داخلياً، وخارجياً. (أبوصالح 2012: 416) ومن أبرز الكتاب الذين اهتموا بسؤال المستقبل المفكر الجزائري مالك بن نبي؛ فقد خصَّص الباب الثاني من كتابه: شروط النهضة للمستقبل، فقد استهل الباب بأنشودة رمزية جسّد فيها فلسفة مركّب الحصار؛ وهو: الإنسان، والتراب، والوقت، ويتناول قصة هبوط آدم إلى الأرض حائراً، ومنبوذاً، بلا مقومات تُبقيه على قيد الحياة،

فقد بدأ يفكرُ في فقره، ووحدته؛ في بيئة كل من فيها يُعاديهِ، وهو لا يعرف من أسرارها شيئاً. وعندما تأمل الكون من حوله، وجد في السماء الطير، وفي البحر السمك، وفي اليابسة الوحوش، وكل هذه المخلوقات تملك المأكل والمشرب، والمأوى، فضلاً عن الأمن.. هنا رفع آدم يديه إلى السماء؛ يتضرعُ؛ فاستجابت له السماء؛ - بأمر ربها - قائلة: اذهب أيها الرجل؛ فإني أعطيتك عقلاً، ويداً، وأعطيتك تراباً، وزماناً.. وهنا تفتّحت مغاليق الحياة أمام عينيه؛ وإذا بشمسها تسطعُ على غاره المظلم، وتضيئُ له السبيل إلى مستقبله الساطع الخلاب. (بن نبي 1986: 39).

المفكرون يُديرون العقول، ويُنتجون أفكاراً أبكاراً؛ لا تسمح للأفكار السائدة بالاستمرار؛ وللأخطاء السابقة بالتكرار؛ وهنا يبدأ المفكرون مشواراً جديداً، بأفكارٍ جديدةٍ للوصول إلى نتائج مختلفة تماماً عما كان سابقاً، وما هو سائد في الواقع حالياً؛ لذا فإن الأمم التي تنشُد النهوض، تبدأ ببناء المفكرين، وتأسيس جهاز ضخم للتفكير، وإنتاج أفكار جديدة؛ من خلال إنشاء مراكز للبحث والدرس وإعداد البدائل، والخيارات المستقبلية لمواجهة الظروف الجديدة؛ وفي رحلة البحث عن الفكرة ما زال المفكرون يتحاورون من خلال بدائل وخيارات مقترحة للوصول إلى رؤية مستقبلية شاملة؛ من خلال الاهتمام بالإنسان؛ فبدلاً من تسخير الإنسان للأرض في مراحل الكفاح من أجل الاستقلال؛ لابد من تسخير خيرات الأرض لبناء الإنسان في مرحلة ما بعد الاستعمار؛ وتُشكلُ هذه المرحلة نقطة التحول من الألم إلى الأمل؛ من خلال الإحساس بالخطورة، وتجاوز حالة اللحظة الاعتيادية إلى اللحظة الاستراتيجية، والإحساس بخطر القادم؛ مما يستدعي تنظيم

الوعاء المعرفي للإنسان؛ وضرورة استخدام جميع أنواع التفكير بدءاً بالتفكير بالحدس، والتفكير التجريبي التتابعي، والتفكير الاستراتيجي وصولاً إلى التخطيط بالرؤية وهنا يأتي التفكير الاستراتيجي قبل التخطيط الاستراتيجي لقيادة الأمم، ونهضة المجتمعات، من خلال إعداد إنسان يصنع المستقبل؛ ولكن الأفكار لا تأتي مكتملة الجوانب؛ فقد حارت البشرية في جميع أطوارها الحضارية في فهم مجرى الماضي، وتحولات الحاضر، ومآلات المستقبل؛ فطرح أهل الفكر أسئلة محورية حول الأفكار، وأهميتها في البناء الحضاري، ومن تلك الأسئلة الآتي: 1. ما الملكة التي تشدنا إلى الزمن، وما يجري فيه؛ وتؤرغ شعورنا بين ماضينا، وحاضرنا، ومستقبلنا؟ 2. هل الفكر مثل الحياة يغتني ويغنى بقدر ما ينتظم، ويتكامل؛ وينفتح ويتطور؟ 3. هل الديناميكية المجتمعية مرتبطة بالوعي التاريخي، وامتلاك الحس المستقبلي، وعدم التعلق بالماضي؟ 4. ما مدى ارتباط حالة المجتمعات من حيث جمودها، وتحركها باتجاه نظرتها الزمنية: باستتقاق الماضي، وإدراك الحاضر، واستشراف المستقبل؟ 5. هل هناك مجتمعات راكدة كل الركود، وأخرى متحركة دائماً كل التحرك؟ 6. هل يرتبط ركود المجتمعات بتعلقها بالماضي، وترتبط حركتها بالانطلاق إلى المستقبل؟ 7. لماذا البحث في الدراسات النظرية، والتبحر في مجال الاتجاهات الفكرية؟ 8. هل الإنسان كائن متذكر (للماضي) ومتفكر (متوقع للمستقبل) معاً؟ 9. هل الإنسان ملتقى الماضي والمستقبل.. يفعل بهما، ويفعل فيهما في آن واحد؟ 10. هل نحن أبناء الماضي، أم المستقبل؛ أو كليهما معاً؟ 11. هل الماضي والمستقبل

يتفاعلان في النفس الإنسانية؟¹². لماذا الاهتمام بالمستقبل والتساؤل عن المصير؟
 13. هل يُعيقُ تسلُّطُ الماضي عن التحفيز لاستطلاع المستقبل، والتساؤل عن المصير،
 وتوقع أحداثه؟

وفي إفريقيا هناك أسئلة عن تطلعات الإنسان إلى المستقبل.. وتساؤلات عن المصير،
 وهناك عدة محاولات للإعداد للغد. بدأت إنسانية الإنسان؛ عند إحساسه بالزمن،
 من خلال: 1. الإلمام بالماضي لمعرفة ما حدث، وتذكره إياه. 2. تساؤله عما يحدث
 لمعرفة الحاضر. 3. تطلعه إلى ما سيحدث لمعرفة المستقبل، والتطلع إليه، وترقبه؛
 للإلمام بأبعاد الزمن الثلاثة: خبرات الماضي، ومتطلبات الحاضر، وتطلعات
 المستقبل؛ لفهم الحياة: ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً.. تواجه تجربة بناء الدولة في
 إفريقيا معضلة عدم اكتمال دولة قومية حديثة ومستقرة بسبب ضعف مستوى
 الوعي السياسي لدى النخب الإفريقية، والقصور في الأسس العلمية، والشروط
 التجريبية في إدارة الصراعات، وفض المنازعات لدى معظم شرائح المجتمعات
 الإفريقية. (قسطنطين 1976: 11، 21)

أزمة سؤال المستقبل في مناهجنا التعليمية:

تواجه سؤال المستقبل تحديات فكرية، في مناهجنا التعليمية، فكلمة مستقبل،
 ومشتقاتها لا توجد في مناهجنا التعليمية فقد قام فريق من خبراء التربية في العالم
 العربي، برئاسة الخبير التربوي الأستاذ الدكتور/سعد الدين إبراهيم، بإجراء
 دراسة مسحية شاملة لمناهج التعليم في الوطن العربي بتكليف من منتدى الفكر
 العربي، خلال الفترة من 1986 - 1990م، وخلال أربع السنوات، وبمشاركة
 أكثر من مائة باحث؛ خرج الفريق بتقرير شامل حمل مسمى: "مستقبل التعليم في

الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين: الكارثة، أو الأمل" وبعد المراجعة الدقيقة لكافة الوثائق الرسمية في الدول العربية حول التعليم؛ لم يعثر الخبراء التربويون على "هدف إعداد المواطن للمستقبل" كهدف واضح؛ أو صريح؛ بل أن كلمة مستقبل لا تكاد توجد على الإطلاق في معظم هذه الوثائق، وبعد فحص الخبراء لمضمون المواد التعليمية نادراً ما يرد ذكر "للمستقبل"، وفي الحالات النادرة، والمتفرقة، التي ورد فيها ذكر المستقبل، ورد بصورة هلامية غير واضحة، وكان المقصود به تحسين المستوى الاجتماعي - الاقتصادي - أو مجرد الإعداد لممارسة عمل، على المستوى الفردي.. وكانت أهداف، ومضامين مناهج التعليم في الأقطار العربية - طبقاً لوثائقها الرسمية - تركّز حول الماضي، والحاضر، مع أن التعليم بطبيعته هو عملية مستقبلية؛ مع أن الاهتمام بالماضي، والحاضر يجب أن يكون اهتماماً وظيفياً من أجل المستقبل، لأن الماضي يوفر معرفة نقدية لاستخراج الدروس والعبر التي تُساعد على التكيّف الفعال مع الحاضر، وتغييره، وأهم من كل ذلك هو إعداد الإنسان الفاعل، والقادر على صياغة المستقبل. والتركيز على الماضي، والحاضر في التعليم العربي، هو الذي يجعله تعليم حفظ، واسترجاع، يعتمد أساساً على الذاكرة، أكثر مما يعتمد على التفكير، والتحليل، والنقد، وحل المشكلات المتجددة؛ فالتعليم الحفظي الاسترجاعي غير صالح للتعامل مع الحاضر، والمستقبل، بل يُشكّل عقبة أمام التطوّر المنشود في تطوير التعليم العربي في قارة إفريقيا، لإعداد الإنسان الإفريقي القادر على صنع المستقبل، من خلال تحقيق التنمية الشاملة المستدامة، وسد الفجوة التكنولوجية، وتجاوزها. (ابراهيم 1990: 65 ، 67).

ما أبرز التحديات أمام النهوض بشعوب إفريقيا؟

مرت تجربة الديمقراطية بمحنة في جميع أنحاء قارة إفريقيا منذ أواخر الخمسينيات؛ ولم تنجح تجربة الديمقراطية في أي منطقة، فقد ساد نظام الحزب الواحد، أو الانقلابات العسكرية، في معظم دول إفريقيا، مع أن وظيفة الجيش الأساسية هي؛ حماية الوطن من الغزو الخارجي، والإسهام في المحافظة على السلام داخلياً، إلا أن العسكر في البلدان الحديثة الاستقلال في إفريقيا، وبعض دول آسيا، يطمحون إلى الحكم، ويتصدرون طليعة الأحداث السياسية عبر الانقلابات العسكرية، لا سيما عند تعثر المسار الديمقراطي، وانعدام الوفاق الوطني بين الأحزاب السياسية الناشئة، والتي تفتقد إلى الأهداف المحددة، والرؤية الاستراتيجية لإدارة البلاد، وتحقيق الاستقرار السياسي، والتنمية الشاملة المستدامة؛ فقد شهدت إفريقيا الانقلابات العسكرية في وقت مبكر من تجربتها السياسية؛ بأقدم تلك الانقلابات، ثورة 23 يوليو في مصر، عام 1952م أما على مستوى دول إفريقيا جنوب الصحراء، فكان أول انقلاب عسكري في يناير من عام 1966م في دولة فولتا العليا (بوركينا فاسو) وكان قد سبقه انقلاب آخر ببضعة أيام للجيش في إفريقيا الوسطى، وفي شهر يناير من نفس العام (1966) قام الجيش النيجيري بتسليم السلطة في لاقوس، وأطاح الجيش الغاني في عام 1966م بالزعيم التاريخي نكروما. (لويد 1980: 316) وفي السودان تكرر حكم العسكر في ثلاث جولات، بدأت الأولى بانقلاب الفريق عبود في 17 نوفمبر من عام 1958، وامتدت فترة حكمه إلى أكتوبر 1964م. والثانية في 25 مايو 1969م (بقيادة جعفر محمد نميري) وامتد حكمه 16 عاماً، وكانت الجولة الثالثة في 30

يونيو 1989م (ثورة الانقاذ) وانتهت فترة حكمها بتاريخ 11 أبريل 2019م، وكانت مبررات العساكر في استيلائهم على السلطة انقاذ البلاد من الفساد والاضطراب، والفوضى الاقتصادية، ووثوب العسكر على السلطة أسهل، لأنهم يمتلكون الرشاشات والدبابات، والمدافع، وسلاح الجو، ولكن ثبت بالتجربة، أن عبء التنمية الشاملة لا يقوم به العسكر، يقول محمد أحمد محجوب في كتابه الديمقراطية في الميزان: " أن يطلب المرء من عسكري أن يكون رجل دولة؛ هو أشبه بأن يطلب من محام أن يجري جراحة في الدماغ، أو عملية زرع قلب.. فحينما استولت القوات المسلحة على السلطة، كانت النتيجة الضياع، والقلق، والفقر، في جميع نواحي الحياة، والإكراه، والقمع" ومن أسباب تخلف إفريقيا أن معظم القادة الأفارقة يحبذون نظام الحزب الواحد، بوصفه نظام حكم ديمقراطي وحيد يناسب إفريقيا؛ (المركزية الديمقراطية) وهذا ثبت بطلانه بالتجربة في عدة دول، مثل: تجربة سيكوتوري في غينيا في عام 1951م (الحزب الديمقراطي الغيني؛ وتجربة الاتحاد الاشتراكي المصري (تجربة عبدالناصر) وتجربة جوليوس نيريري في تنزانيا (الاتحاد الوطني الإفريقي التنزاني) وفي السنغال (حزب الاتحاد السنغالي 1959) وتجربة نكروما الشهيرة في غانا (حزب المؤتمر الشعبي 1949، و 1957) ومن مآثرات نكروما في 1961م قوله: " جميع الأفارقة يعرفون أنني أمثل إفريقيا وأتكلم باسمها؛ ولذلك لا يمكن أن يكون لإفريقي رأي يختلف عن رأيي"، وتجربة الاتحاد الاشتراكي السوداني(حزب النيميري، 1969 -1985م)، ومن أبرز مساوئ نظام الحزب الواحد أنه يتخلص من المعارضة الآتية من خارج الحزب، ثم يبدأ في خنق همسات الرفض التي تُسمع داخل الحزب نفسه. وهكذا نحد أن

الاستقلال من الاستعمار الأجنبي، أو إسقاط نظام دكتاتوري غير كافٍ لبناء النظام الديمقراطي التعددي؛ وتغيير نظام الحكم الاستبدادي ليس علاجاً سحرياً لجميع الأمراض السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، فبناء أسس الديمقراطية التعددية يحتاج إلى فرصة كافية لمعالجة الديمقراطية بأدوات ديمقراطية، وأنَّ جوهر الديمقراطية التعددية يقوم على إقرار دستور دائم متفق عليه من جميع المواطنين وفي ضوء الدستور يتم إنشاء الأحزاب السياسية لتمثيل الشعب في البرلمان، وسيادة القانون، وبناء المؤسسات التشريعية (البرلمان) والتنفيذية، والقضائية مع الفصل التام في صلاحياتها القانونية، بحيث لا يمكن اعتقال أي مواطن من دون العودة إلى القانون، كما يجب عدم وضع أي شخص في السجن من دون اتهام، وعلى كل مواطن أن يحترم قوانين البلاد، وحرية الآخرين. (محجوب 1999: 284، 285) ومن أبرز التحديات الكبرى التي تواجه قارة إفريقيا تطوير الوحدة السياسية في شكل دولة مستقرة، ومتقدمة؛ بدلاً من وجود تجمعات اجتماعية، وسياسية لم تصل بعد إلى هدف مشترك موحد، ورؤية مستقبلية متفق عليها لرعاية مصالح المواطنين المشتركة، مما سهّل على الأوروبيين احتلال القارة الإفريقية بموجب معاهدة برلين 1885 التي تمّ فيها تقسيم إفريقيا بين بريطانيا وفرنسا اقتصادياً، وسياسياً؛ واستمر العجز القيادي لتنمية إفريقيا في تجربة الحكم الوطني بعد رحيل الاستعمار الأوروبي؛ ونشأة التجربة الوطنية في إدارة الدولة؛ فقد واجهت تجربة إدارة الدولة القومية في إفريقيا فجوة تنظيمية وسياسية في فهم مفهوم الدولة الحديثة القائمة على المواطنة، في ظل غياب مفهوم ثقافة تأسيس دولة مدنية، وبعث روح التنمية الشاملة لتطوير جميع المواطنين (رودني، 1989،

185 - 186) والنظام السياسي في إفريقيا تواجهه تحديات وجود مجتمعات انشطارية لا دولة فيها؛ وهناك مجتمعات انشطارية قبلية؛ بلا دولة ولا رأس؛ وليس بين القبائل إلا الحرب على قاعدة: "أنا ضد أخي، وأنا وأخي ضد ابن عمنا، ونحن وأبناء أعمامنا ضد من في الأرض جميعاً؛ فلم تعرف إفريقيا حتى الآن غير نمط الدولة المستوردة في سياق الإرث الاستعماري الأوروبي، وهذا ما دعا الرئيس الفرنسي السابق، نيكولا ساركوزي؛ في خطابه الذي ألقاه في جامعة دكار في يوليو 2007م: "أن يقول: "إن الإنسان الإفريقي لم يدخل التاريخ بما فيه الكفاية" وهذا الكلام قد أثار ردود فعل قوية من مؤرخين أفارقة، ومختصين في الشؤون الإفريقية، وهؤلاء يرون أن الاستعمار الأوروبي قد أعاق تطور الوحدة السياسية في إفريقيا التي كانت تتقدم نحو تطوير الوحدة السياسية في شكل دول كبيرة باطراد قبل الهيمنة الأوروبية على القارة البكر. (عبد الودود 2013 : 21,61) وأن نقطة المرور إلى الدولة القومية قد اجتازها آخرون، وشعوب إفريقيا يجب أن تتحرك لاجتيازه من خلال بناء نموذج تعايش مؤسس على تجاربنا المحلية، ويهتدي بتجارب غيرنا من الأمم الأخرى، لبناء النظام الديمقراطي التعددي القادر على العطاء، والأداء من خلال توسيع رقعة المشاركة السياسية. (خالد 1993 : 148 ، 434).

كيف تفاعلت الأمة الإسلامية مع أفكار مالك بن نبي؟

السؤال المحوري لبناء رؤية المستقبل: كيف تستعيد المجتمعات نهضتها الحضارية من جديد؟

يقول مالك بن نبي في مشكلة التكيف: "لو أننا حللنا حياة مجتمعنا لوجدنا فيه ألواناً جديدة؛ تدل في جملتها على نزعات متباينة، واستعدادات فردية متفارقة؛ في

مجتمع فقدَ توازنه القديمَ، ويبحث الآن عن توازنٍ جديدٍ" (بن نبي 1986: 156) فتفكيرنا لم يتناول (موضوع التخلص من الاستعمار) بصورة شاملة، وإنما بصورة جزئية، تمتلئ لدينا في أسطورة: (الشيء الوحيد) و(الرجل الوحيد) الذي ينقذنا؛ فقد وضعنا آمالنا في الرجل الوحيد، الذي بيده سعادة الشعب، ورخاؤه، وحتى بعد رحيل الاستعمار، قد استبدلنا وثناً، أجنبياً، بوثنٍ وطني، أسميناه الرجل الوحيد، (الرئيس الذي لا بديل له) (خالد 1993: 572) وهكذا نتقل من وهمٍ؛ لنتخبط في وهمٍ جديد، ولا ندري كم من السنين سوف نقضيها لندركَ عجز (الأشياء الوحيدة) عن حل المشكلة.. التي هي مشكلة الحضارة، أولاً، وقبل كل شيء؛ والحياة تدعونا أن نسير دائماً إلى أمام، ولا يجوز، أن يظل سيرنا نحو الحضارة فوضوياً يستغله الرجل الوحيد؛ أو يضلله الشيء الوحيد.. فأخرجوا المستعمر من أنفسكم.. يخرج من أرضكم؛ وليكن سيركم علمياً، وعقلياً، ليكون إنتاجكم الحضاري؛ ليس أجزاء مبعثرة، ملفقة، ولا مظاهر خلافة، وليس الشيء الوحيد، بل جوهر ينتظم جميع أشياء الحضارة، وأفكارها، وروحها، ومظاهرها، ويكون ذلك من خلال إزالة التناقضات، والمفارقات المنتشرة في مجتمعنا اليوم، ويتم تعديله بتخطيط ثقافةٍ شاملةٍ، يحملها الغني والفقير، والجاهل والعالم؛ حتى يتمّ للأنفس استقرارها، وانسجامها مع مجتمعتها؛ ذلك المجتمع الذي سوف يكون قد استوى على توازنه الجديد (بن نبي 1986: 155، 159). وغياب التخطيط سمة سائدة في أنظمة الحكم في إفريقيا؛ فيأتي التنفيذ سابقاً للتخطيط في الثورات الشعبية، والانقلابات العسكرية على السواء في التجارب الإفريقية، فقد قامت ثورة مايو في السودان بتاريخ 25 مايو 1969م وقد ظلت تعمل أجهزة الدولة بلا

ضوابط، ولا خطة مدروسة، مما أدّى إلى الكثير من التخبط، كما ذكر ذلك الرئيس جعفر نميري نفسه، أثناء اجتماعه مع الوزراء بتاريخ 16 أكتوبر 1971م أي بعد مضي سنتين، وأربعة أشهر من قيام الثورة، يقول: (نبدأ عهدنا الجديد.. برسم الأطر، والهيكل، وتحديد الاختصاصات، والأهداف؛ للأجهزة التي تعمل من خلالها الدولة؛ فقد ظلت أغلب أجهزة الدولة تعمل بلا ضوابط، ولا حدود؛ مما أدّى إلى الكثير من التخبط.. ولا بدّ من إعادة صياغة "أجهزة الدولة" لإنهاء العفوية، وتدعيماً للجهد المخطّط) يقصد الرئيس بكلمة عهدنا الجديد، مرحلة ما بعد فشل المحاولة الانقلابية التي قام بها الحزب الشيوعي بقيادة الرائد هاشم العطا بتاريخ 19 يوليو 1971م، وتمّ التغلب على الشيوعيين بتاريخ 23 يوليو 1971م، ولعل فكرة التخطيط قبل التنفيذ جاءت بهذه المناسبة؛ والماضي، والمستقبل يتفاعلان في النفس الإنسانية. على أنّ فعل الأول منهما لا يوازي فعل الثاني؛ ولا يرتفع إلى مرتبته؛ فإنّ تسلّط الماضي في تفكير الإنسان؛ قلّمًا يقود بذاته إلى التحفّز لاستطلاع المستقبل، أما الاهتمام بقضايا المستقبل، والتساؤل عن المصير؛ فإنه يؤدي غالباً إلى محاولة استعادة الماضي، وإلى إحياء التراث، وتقييمه لإدراك معناه، ولاستلهامه في صنع الحياة الحاضرة، والمقبلة؛ لأنّ تجربة الماضي، ومعرفة أحداثه، وتأريخ صناعته تفيد بقدر ما تُسهم في إدراك الحاضر، والإعداد للمستقبل؛ يتم ذلك من خلال التنشئة التربوية؛ لأنّ العمل التربوي، والتعليمي هو عملٌ مستقبلي في جوهره؛ لأنه يتوخّى تهيئة الأجيال للحياة المقبلة، وتأهيلهم للإسهام في صناعة المستقبل؛ فإن لم يكن لدى القائد التربوي تطلّع نافذ إلى آفاق حياة طلابه المستقبلية، وتنبؤ علمي صادق لما ستكون عليه الأوضاع المستقبلية؛ يعجز عن تأدية واجبه التربوي،

تأدية صحيحة، من خلال ما يُكسبه لطلابه من المعارف، والمهارات؛ والاتجاهات الإيجابية في حل المشكلات المستقبلية. (خالد 1993: 458)

ماذا بقي لنا اليوم مما طرحه المفكر مالك بن نبي عن سؤال المستقبل لنهضة إفريقيا؟

هل يصلح فكر مالك بن نبي ليكونَ منطلقاً لبناء الرؤية المستقبلية؟ يقول حكماء الدراسات الاستراتيجية: "المستقبل يُصبحُ ملُكاً لمن يتمكنُ من رؤية الإمكانيات بجلاء، ووضوح قبل أن تُصبحَ جلية، وواضحة للجميع" كما أن أحسن وسيلة لمستقبل أفضل؛ هي صياغته، وصناعته، وليس انتظاره من الآخرين. فيجب أن نصنع مستقبلنا بأنفسنا، قبل أن تفرض علينا الحلول الخارجية التي لن تخدم مصالحنا، ولكنها تحقق مصالح من صنعها وفق احتياجاته، ومصالحه الاستراتيجية، ورائد علم المستقبليات في إفريقيا هو ابن إفريقيا البار المفكر مالك بن نبي، فهو المنشئ لعلم التوقع والرؤية المستقبلية في شروط النهضة الحضارية في مجتمعات ما بعد دولة الموحدين، وانتصار التفكير على ردات الفعل؛ فلا يكفي ترديد الشعارات، مثل: فليسقط الاستعمار! والاستعمار الجديد، والامبريالية، أو فليسقط النظام! أو الشعب يريد إسقاط النظام! فمن السهل أن نشتم الاستعمار، أو النظام الاستبدادي، ولكن من الصعب، أن نخطط لمرحلة ما بعد الاستعمار، أو الاستبداد، وهي حالة ملازمة لثورات العالم الثالث حتى الآن، وهو المطالبة بالإسقاط قبل إعداد البدائل لمرحلة ما بعد الثورة؛ ويقول مالك في هذا الشأن: (إنَّ الحرية عبءٌ ثقيل على الشعوب التي لم تُحضِّرها نخبُها لتحمل مسؤوليات استقلالها) (بن نبي 2005: 64) وهو صاحب فلسفة (بناء دولة الاستقلال، بعد

تحقيق استقلال الدولة) وقد حدد نطاق أزمة العالم الإسلامي؛ في محور طنجة - جاكرتا، وأثبت بالبراهين العلمية، أنَّ هذا المحور يُشكِّل نصف الإنسانية؛ ولخصَّ العجز الحضاري في فلسفة التعويض بـماضي مشرقٍ، ومهيبي عن حاضرٍ مفلسٍ! وتساءل عن الحل، قائلاً: هل الأزمة في الأفكار، أم الوسائل؟ هل ظاهرة الاستبداد السطحية؛ تُخفي وراءها جذور الصراع، ومسبباته؟ وتحول دون تسوية الصراعات التاريخية، والمستقبلية؟ وتختزل الأزمة في رجلٍ؟ ومن أيِّ الطرق دخلنا مآزق الاستبداد؟ وكيف نخرج منه؟ هل نحن أمام استحالة جديدة لبلوغ أهدافنا؟ ما اللحظة الباهرة في التاريخ الإنساني؟ وقد مثَّل لها في التاريخ المعاصر بمؤتمر باندونغ، الذي انبثقت عنه (فكرة الإفريقية - الآسيوية) وسماها كتلة الشعوب المستعمرة، وجمعها التحرر من الاستعمار المشترك، وهي شعوب دول عدم الانحياز، وعددها 29 دولة منها، أربع عشرة دولة مسلمة، وتساءل قائلاً:

(ما القوى المتطلعة إلى المستقبل؟) هل كان مؤتمر باندونغ لحظة تفكير في مشكلة البقاء، وخطوة أولى في طريق الحل؟ هل يُمثِّل لحظة الافتكاك من القديم إلى مصير جديد، فرصة جديدة لميلاد مجتمع النهضة؟ ماذا يعني لمؤرخي المستقبل؟ هل النهضة عبارة عن أفكار حيَّة للتحوُّل من الانفعال، إلى الفعل الهادف؟ وأكد أنَّ الحل يتجاوز القومية، إلى البعد الإنساني، وتساءل من أين نقتبس الحلول؟ وكيف نجتاز أزمة مشتركة في حياتنا؟ وأشاد بتجربة غاندي في محاربة الاحتلال، داعياً إلى فكرة العلاج الاجتماعي الشامل، من خلال طرح سؤال البداية، من أين نبدأ؟ عالم الأفكار، ثمَّ عالم العلاقات، وأخيراً عالم المشاريع، وكانت البداية بإنتاج الفكرة، لأنه إذا غابت الفكرة بزغ الوثن! ومن

أشهر أسئلة مالك عن الفكر، سؤاله: (ما الفكر الذي يواجه مشكلات الساعة؟) ما نظرية العمل الضروري لتغيير الوضع في بلد ما؟ هل العمل الشاق، والتعاون الوفير ضروريان لنهضة إفريقيا؟ (بن نبى 2001: 141، 231) ويصلح فكره أن يكون علاجاً لقضية فوضى الاتجاه، وضبابية الرؤية، وابتسار الحلول لقضايا إفريقيا، من أجل بناء جيل باحث في العمق، لإنتاج رؤية جديدة تعيد صياغة فكر النهضة عبر سؤال المستقبل، لأنَّ طرح السؤال أهم من البحث عن الأجوبة، ومن القضايا الكبرى سؤال مصير الأمة، وثقافتها، وشروط نهضتها بمكوناتها الثلاثة: بناء الإنسان، وتحرير الأوطان، واستغلال الزمن في النهضة، بدلاً من إضاعته في الصراعات الصفوية، وقد بدأ مالك بن نبى مشروع شروط النهضة بمشكلة تحرير الإنسان؛ والانتقال به من مرحلة إنسان الانحطاط، و إلى بناء إنسان التحضر، من خلال تفكيك عوامل التخلف، للتخلص من داء القابلية للاستعمار؛ فطرح سؤال: كيف نتخلص من ظاهرة الانعزال خلف الشعارات، ومحاولات نفي الآخر، وإقصائه؟ كما طرح مالك، سؤالاً جوهرياً عن التراث، والتأسي بالسلف الصالح، قائلاً: (هل مرحلة الخلفاء الراشدين، أنموذج متكامل وتجربة ناجزة، أم مشروع قابل للتطوير؟) وتجربة مفتوحة النهايات؛ يحق لكل جيل كي يضيف، ويطور فيها وفقاً لزمانه، ومكانه وظروفه؟ وهل هي المرحلة التي وُضعت فيها الأصول، والأسس، - في علم الهندسة - غير البناء، كما طرح علاقة الديمقراطية بالإسلام، هل العلاقة بينهما علاقة تنافٍ، بحيث وجود أحدهما ينفي الآخر قطعاً؟ أم هي علاقة تضمنٍ؛ بحيث يكون أحدهما جزءاً من الآخر؟ أم هما مفهومان مستقلان؛ لهما نقاط تقاطع، واشتراك، ونقاط تباين، واختلاف؟ وهل الحكم

الإسلامي ديمقراطي في مصدره، وعمله؟ وهل الإسلام يتضمّن كل السمات التي تطبع الديمقراطية السياسية، التي تمنح الفرد مسؤولية في تأسيس الحكم، والضمانات اللازمة التي تحميه من جور الحكم؟ وأنّ جوهر الديمقراطية هو الإنسان، وأنّ أبرز خاصية تُبنى عليها الديمقراطية هي الحرية؛ فالحرية جوهر البناء الديمقراطي، وأنها تشمل الحاكم، والمحكوم، والأنا والآخر، كما تقوم على ثلاث قيم أساسية، هي: 1. الشعور نحو الأنا. 2. الشعور نحو الآخر. 3. الضمانات التي تدعم هذا الشعور. (بن نبي 2000: 131)

والنخب الإفريقية ظلت تبحث عن سؤال المستقبل منذ مطلع الخمسينيات، فقد قال عالم المستقبليات الإفريقي المسلم/ الشيخ إنتا ديوب في المؤتمر الأول للكتاب الأفارقة في باريس عام 1954م: " لن يعرف الإفريقي أين يقصد (في وجهته المستقبلية) إنّ لم يعرف من أين أتى؟" وقد نبّه قادة الفكر في ذلك المؤتمر إلى ملامح بناء الدولة القومية في إفريقيا؛ حينما قال: " تعالوا نبني دولاً تعي بماضيها؛ لتشيع فيها الكبرياء" كما أشار إلى الوجهة المستقبلية على مستوى قارة المستقبل؛ إفريقيا، قائلاً: " تعالوا نهئى للقارة تاريخاً عاماً؛ بدوّه، وختامه؛ تاريخ قومياتنا المختلفة.. فكلنا أفريقيون عاش أسلافنا تاريخاً؛ لو لم تحل دونه الحوائل؛ لكانت إفريقيا الآن شيئاً مذكوراً؛ إنّنا ننظرُ إلى الماضي عندما نحاول أن ننظرَ إلى المستقبل، لأنّ الماضي؛ لا يموتُ، والإنسان يتعلّم من تجاربه، وخبراته؛ كي ينجح في حياته المستقبلية؛ (حمدان 1973: 94، 95) كما ورد في ديباجة الدستور التأسيسي للمركز الإسلامي الإفريقي، النص الآتي: " إنه مما لا خير فيه؛ أن نبكي على الماضي المجيد، أو نذرف الدمع على الحاضر الأليم؛ ولكن من الخير

لنا أن نأخذَ من الماضي الخبرةَ، ومن الحاضر العبرةَ (للانطلاق نحو آفاق المستقبل)" وأحداث الحاضر تُعتبرُ مؤشرات لأحداث المستقبل، والمستقبل يبدأ من اللحظة الحالية، حيث تُمثلُ مؤشرات الأحداث المعاصرة، أحداثاً مستمرة متحركة؛ فكل أفكارنا اليوم، وخططنا للمستقبل مبنيةٌ على الذكريات، وتحليلات أحداث الماضي؛ وخياراتنا المستقبلية تتشكّلُ وفق تحليلاتنا لتجاربنا السابقة، لأنَّ الماضي دليلٌ هادٍ إلى المستقبل.(المركز الإسلامي 1978: 4)

الخاتمة:

عودٌ على بدءٍ

سؤال المستقبل، كيف تستعيد المجتمعات نهضتها الحضارية من جديد؟
بدأ مالك بن نبي بواكير إنتاجه الفكري منذ عام 1947م بتأليف كتابه،
شروط النهضة، وخلص فيه إلى أنَّ الأمة الإسلامية تعيش مرحلة الجمود
والانحطاط، وهي مرحلة مجتمعات ما بعد دولة الموحدين، وقد خصص لسؤال
المستقبل الباب الثاني من كتابه. (بن نبي 1949: 39، 159)
واحتوى على الموضوعات الآتية:

1. من التأكيد إلى البناء، تناول فيه ركود العالم الإسلامي، وبقائه خارج
التاريخ دهرًا طويلاً، كأن لم يكن له هدف، وتيه التشخيص، حيث
نظر كل شخص إلى المشكلة من زاوية اهتمامه، ومزاجه، كما يقول:
فرجل السياسة، مثل: جمال الدين الأفغاني، نظر إلى حل المشكلة،
بوسائل سياسية، (إنَّ المشكلة سياسية تحل بوسائل سياسية) ورجل
الدين، مثل: الإمام محمد عبده، تناول الحل من زاوية رجل دين، فقال: (إنَّ
المشكلة لا تُحلُّ إلا بإصلاح العقيدة والوعظ) وهكذا استمرت المشكلة
بلا علاج، لأنَّ المفكرين لم يتناولوا في الحقيقة المرض، وإنما ظلوا
يتحدثون عن أعراضه. أما في رأي مالك بن نبي، فإنَّ مكونات الحضارة،
تتمثل في معادلة: (إنسان + تراب + وقت يساوي ناتج حضاري) فالحضارة في
مجموعها هي ناتج للإنسان، والتراب والوقت.

2. الدورة الخالدة، (تحديد نقطة البداية؛) فالمفكر يسأل دائماً: إلى أية جهة نقصد؟ من أين نبدأ، ومتى نبدأ؟ وإلى أين نسير؟ وبأي زاد سوف نقطع الطريق؟ ومتى نصل؛ فعنصر الزمان، والمكان مهمان في الدورة الحضارية، لذا جاء دور التاريخ وتسلسله في البناء الحضاري، في تسجيل مآثر الشعوب، أو انحطاطها، بسبب إضاعتها للفرص التاريخية، وإطار بحثه التحليلي لنهضة أوروبا، توصل إلى نتيجة مفادها (أنَّ أعظم ارتكاز حضارة أوروبا على روحها الدينية.. إلى أن يقول: " إنَّ مركز الروح المسيحية، ومبدأها الخلقى هما القاعدتان اللتان شيدت عليهما أوروبا سيادتها التاريخية) لتؤلف بين العوامل الثلاثة: الإنسان، والتراب، والوقت، لتركب منها كتلة؛ تُسمى في التاريخ حضارة.

3. العدالة الدائمة : كان القرن التاسع عشر، هو القرن الذي وُلدت فيه أول تفسيرات الواقعية الاجتماعية، في إطار ظاهرة معينة، هي(الحضارة)، والتي تبدأ بإنسان الفطرة البسيط، ليصبح رجل الحضارة المعقد، فكلما تحرك رجل الفطرة، تحركت معه حضارة في التاريخ، وعنصر الدين مكوّن من مكونات الحضارة، وأنَّ كل حضارة تقع بين حدين: هما: الميلاد والأفول، وأنَّ ميلاد الحضارة الإسلامية مرهون بوجود عاملين، هما: الفكرة الإسلامية، والإنسان المسلم؛ وهو السند المحسوس للفكرة الإسلامية. فإذا أصبح فاعلاً يقوم بعمل حضاري، وإذا ظل على جهله يصبح إنساناً مسلوب الحضارة، فإذا عاد إلى رشده، وغير ما به من ركود دخل في دورة الحضارة. الجديدة، من خلال التزامه بشروط النهضة.

عناصر النهضة الثلاثة:

1. العنصر الأول: الإنسان (كيف نضع المشكلة أمامنا بأكملها؟) أزمة الأمة الإسلامية في الركود، وليس الحركة، حيث قعدت عن السير في ركب التاريخ. والحل يكمن في البحث عن الرجل الفاعل، فيجب أولاً: أن نصنع رجالاً يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب، والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى. فرجال اليوم لا يصنعون الحضارة، فهم صنفان: أ. الصنف الأول، الذي يسكن المدينة، إما عاطل عن العمل، لا يعمل شيئاً، إما يبيع بعض العقاقير، والحاجات، وإما شاوِيش في إدارة استعمارية، وبعض آخر نجده محامياً، أو صيدلياً، أو قاضياً؛ وقليل ما هم (وهنا رجل المدينة رضي بالقليل من الأشياء، وقد تغفلت في نفسه دواعي الانحطاط) ب. والصنف الثاني: يسكن البادية مترحلاً، بلا مواشٍ، فلاحاً بلا محراث، ولا أرض. وفي العصر الحديث يُؤثّر الفرد في المجتمع بثلاثة مؤثرات: أ. بفكره، أولاً. ب. بعمله ثانياً. ج. بماله ثالثاً. ولكي يصل إلى ذلك يحتاج إلى ثلاثة مقومات، وهي:

1. توجيه الثقافة لبناء الفكر. 2. توجيه العمل لبناء المهارات. 3. توجيه رأس المال، لبناء التنمية. وفكرة التوجيهات تشمل الآتي: التوجيه الأخلاقي والجمالي. وتوجيه المنطق العملي، وتوجيه الصناعة، والمبدأ الأخلاقي في الذوق الجمالي في بناء الحضارة. وتوجيه العمل، ورأس المال. ومشكلة المرأة في المجتمعات الإسلامية. ومشكلة الزي، والفنون الجميلة.

2. العنصر الثاني: التراث: التراث أحد العناصر الثلاثة التي تكون الحضارة، فإذا ما توافر المركب الديني لتركيب هذه العناصر، فإننا نرى التراب في بلاد المسلمين جديرٌ ببحثه بوصفه عاملاً من عوامل الحضارة، ونقطة الانطلاق في كل إصلاح اجتماعي، هي، أولاً: توفير القوت، ثم نطرح القضية على بساط التخطيط. فمهما يكن من بدائية وسائلنا؛ فإن علينا أن نعمل؛ فالعمل لازم، لزوم طبيعة الأرض، والمناخ؛ ولن نستطيع إنقاذ ذريتنا و(مجتمعاتنا) من الأجيال القادمة إلا بالعمل الشاق، الذي يقوم به جيلنا الحاضر، وحينها ننتصر على أنفسنا، وعلى أهوال الطبيعة من حولنا.

3. العنصر الثالث: الوقت: ساعات الخطر في التاريخ؛ تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء، وهي اللحظات التي تحدث فيها انتفاضات الشعوب. لا يقوم الوقت بالمال، فالوقت يُصبح جوهر الحياة الذي لا يُقدر بثمن. فهو لازم للمحافظة على البقاء، أو لتحقيق الخلود، والانتصار على الأخطار. وساعات العمل هي العملة الوحيدة المطلقة التي لا تبطل، ولا تسترد إذا ضاعت.. وحظ الشعب العربي الإسلامي من الساعات، كحظ أي شعب متحضر، ولكن... عندما يدق الناقوس منادياً الرجال، والنساء والأطفال إلى مجالات العمل، في الأرض المخضرة.. أين يذهب الشعب الإسلامي؟! تلكم هي المسألة المؤلمة... فنحن في العالم الإسلامي نعرف شيئاً يسمى (الوقت) ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى العدم؛ لأننا لا ندرك معناه، لأننا لا ندرك قيمة

أجزائه من ساعة، ودقيقة، وثانية، ولسنا نعرفُ إلى الآن: فكرة (الزمن) الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بالتاريخ؛ مع أنَّ فلكياً عربياً، مسلماً؛ هو (أبو الحسن المراكشي) يعتبرُ أول مَنْ أدرك هذه الفكرة الوثيقة الصلة بنهضة العلم المادي في عصرنا. وبتحديد فكرة الزمن؛ يتحدّد معنى التأثير والإنتاج، وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا؛ وهنا نصل إلى الإجابة عن سؤالنا: كيف تستعيد المجتمعات نهضتها الحضارية من جديد؟

وخلاصة القول، إنّ نهضة إفريقيا قد شخّصها أحد أبنائها من شمال القارة، وهو مالك بن نبي، ومن خلال قراءتي المتعمقة لكتب المفكر الإسلامي مالك بن نبي، تبين لي بأنه درس الاستعمار والشعوب المستعمرة، وخرج بخلاصة دراسته السابقة عن شروط النهضة، وفكرة الإفريقية الآسيوية وقد أفرد فصلاً للعالم الإسلامي، وإفريقيا تحديداً؛ فناقش قضية العالم الإسلامي، وفكرة الأفروآسيوية، وقال عبارته الشهيرة، (إنَّ فكرة الأفروآسيوية تواجهنا في اللحظة التي يبدو أنَّ التاريخ ينقل فيها قيم الحضارة من منازلها التقليدية، إلى منازل جديدة)، وتساءل، قائلاً: هل تقوم آسيا بغير المسلمين، وبتحديد رأسمال مشروع النهضة في الإنسان، والتراب والوقت، قد حدد مالك شروط النهضة، وهنا أريد أن أطرح سؤالاً محورياً، وهو كيف الخروج من نظام الاستعمار الجديد في قارة إفريقيا؟ وأقتبس الإجابة من عنوان (الاستعمار والشعوب المستعمرة) في كتابه (شروط النهضة) ومما جاء في سبل التعامل مع الاستعمار من قبل الشعوب المستعمرة، الآتي:

1. المدخل السياسي، للتعامل مع المستعمر، وهو المطالبة بالحقوق، التي هضمها الاستعمار، أو الحاكم المستبد الذي خلفه الاستعمار من بعده، وهنا أغفل المطالبون بحقوقهم الواجبات تجاه الوطن، ومواصلة التضحيات في فترة ما بعد الاستقلال كما ناضلوا في فترة الكفاح ضد الاحتلال المسلح؛ وأصبحت أصوات المطالبات بالحقوق، دون الكلام عن الواجبات، من أروع مظاهر المأساة التي يُعانيها الجنس البشري في عصرنا.

2. والصنف الثاني من الشعوب المستعمرة، تكلم بلسان الواجبات، مثل، غاندي في الهند ففاز بحقوقه كاملة؛ يقول مالك بن نبي في هذا الموقف النبيل: (كأنها نظرة قرآنية غير منتظرة عند ذلك المصلح البرهمي) وموضوع النهضة في مرحلة ما بعد الاستقلال الوطني من الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة في أعماق التاريخ، لأنَّ الاحتلال من الوجهة التاريخية يعتبر نكسة في التاريخ الإنساني، وأصوله تعود إلى روما، حيث وضعت المدينة الرومانية طابعها الاستعماري في سجل التاريخ، ولسوء حظ الإنسانية أن نسيت أوروبا، أو تناسلت هذه التجربة اليوم، ومارست الاستعمار بأبشع صورته، في العالم الإسلامي، في إفريقيا، وآسيا، وأنَّ جميع الوسائل قد اتخذت لمحو الحضارة الإسلامية من سجل التاريخ.

ومن أسئلة المستقبل التي أثارها المفكر، مالك بن نبي، سؤال:

كيف نتخلص مما استغله فينا الاستعمار، للقضاء على ظاهرة القابلية للاستعمار؟ يضع مالك بن نبي منهجاً متدرجاً لإفشال استراتيجية الاستعمار في التحكم في الشعوب بعد استقلالها من الاستعمار المباشر، فيضع حلاً، مقابل كل مشكلة، واستراتيجية للتحرر مقابل كل استراتيجية للاستعمار، فماذا يريد منا الاستعمار؟ وكيف نتخلص مما يريده منا؟ يريد الآتي:

أولاً: قد درس الاستعمار أوضاعنا النفسية، دراسة عميقة؛ فلندرس نفسيته الاستعمارية دراسة عميقة، لنواجهه بالعلم، والفهم العميق. (هنا علينا إنشاء علم الاستغراب، كما أنشأ الاستعمار علم الاستشراف)، وذلك من خلال تخطيط ثقافة شاملة لإنتاج فكرة تنموية ملهمة للجميع، تعالج قضايا التخلف في مجتمعاتنا الإفريقية.

ثانياً: من أكبر مداخل الاستعمار في الشعوب المستعمرة، إبقاء الشعوب تحت الجهل، حتى لا تفهم حقوقها، وواجباتها، وعلينا نشر العلم، وتعميمه على الجميع، ويبدأ التغيير بالنفس، ثم الوسط الاجتماعي.

ثالثاً: ينشط الاستعمار في المجتمعات التي تسود فيها البطالة، والفقر، فلنبداً بالتنمية البشرية، وإيجاد لقمة لكل جائع، وفرص عمل لكل عاطل.

رابعاً: يستغل الاستعمار الانحطاط الأخلاقي لتدمير الشعوب، والاستراتيجية الناجحة هي الارتقاء بالأخلاق والقيم الدينية في الشعوب الإفريقية.

خامساً: من أبرز استراتيجيات الاستعمار سياسة (فرق تسد) فهو ينشط في المجتمعات التي تعاني الخلافات، والتمزق الاجتماعي، والصراعات على السلطة،

والانقسامات السياسية، والعلاج هو تنشيط فلسفة (الجميع للفرد، والفرد للجميع)، وتقوية لحمة الوحدة الوطنية، والعمل على الاستقرار السياسي، والتنمية الشاملة، والمتوازنة. يقول مالك (القضية عندنا منوطة أولاً بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته، من حيث نشعر، ولا نشعر، وما دام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الاجتماعية عندنا، وتبديدها، وتشتيتها على أيدينا؛ فلا رجاء في استقلال، ولا أمل في حرية، مهما كانت الأوضاع السياسية؛ وقد قال أحد المصلحين: أخرجوا المستعمر من أنفسكم؛ يخرج من أرضكم) إنَّ الاستعمار لا يتصرف في طاقاتنا الاجتماعية؛ إلا لأنه درس أوضاعنا النفسية؛ دراسة عميقة، وأدرك منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد، كصواريخ موجهة؛ يُصيب بها مَنْ يشاء، فنحن لا نتصور إلى أي حدٍ يحتال لكي يجعل منا أبواقاً يتحدث فيها، وأقلاماً يكتب بها؛ أنه يسخرنا له، بعلمه، وجهلنا.

والحق أننا لم ندرس بعدُ الاستعمار دراسة علمية، كما درسنا هو، حتى أصبح يتصرف في بعض مواقفنا الوطنية، وحتى الدينية؛ من حيث نشعر، أو لا نشعر، إننا أمام قضية خطيرة، وجديرة بدراسة خاصة؛ ولسوف ندرسها يوماً ما إن شاء الله. وختاماً يأمل الباحث أن تترجم هذه الأفكار في علاج قضايا إفريقيا المستقبلية، لأنَّ قارة إفريقيا من المناطق التي تحتاج إلى أكبر قدرٍ من ترتيبات تسوية الصراعات، والحلول السياسية في السنوات القادمة، لتفادي نشوب حروب جديدة بين أنظمة الدول في ظل تزايد ارهاصات توسع نطاق النزاعات المسلحة في منطقة القرن الإفريقي وجنوب الجزيرة العربية، وللحيلولة دون ذلك تسعى هذه الدراسة إلى تقديم مبادرة لصياغة رؤية مستقبلية لتسوية الصراعات في مستقبل المنطقة من

خلال آلية الحوار الاستراتيجي لبناء أنظمة ديمقراطية تعددية في الدول الإفريقية؛ وذلك من خلال قراءة الخارطة الاجتماعية، والسياسية؛ لمكونات شعوب إفريقيا؛ والكيانات المؤثرة من الأحزاب السياسية، ومنظمات المجتمع المدني، والنخب الأكاديمية؛ من المثقفين، والحقوقيين، للاتفاق حول المبادئ الأساسية لبناء الديمقراطية التعددية، والالتزام باحترام قواعدها المقررة دستورياً، وفق رؤية مستقبلية مشتركة، تستصحب مطالب، وأحلام كل كيانات المجتمعات الإفريقية، وتعالج النزاعات المتعددة القائمة منها، والمحتملة، في إطار تحول ديمقراطي شامل، وعادل يشارك فيه الجميع؛ بما يُعزِّز مسار التحول الديمقراطي التعددي وترسيخ الثقافة السياسية التعددية لدى أحزاب قوى التغيير الديمقراطي المحتملة؛ وتفضيل الشراكة المتوازنة على الانفراد بالحكم في إدارة المرحلة الانتقالية؛ لضمان الانطلاقة الصحيحة لتجربة التحول الديمقراطي وترسيخ ممارسة التداول السلمي للسلطة؛ وتأسيس التجربة الديمقراطية على مبادئ واضحة المعالم، ومكتوبة، ومتفق عليها مسبقاً بين جميع قوى التغيير الديمقراطي، للاتعاظ من تكرار تجارب الماضي الأليم في تجربة الحكم الوطني في إفريقيا، فالمستقبل ما نعمل على بنائه معاً، لا ما سنجد أماناً؛ ولا يتأتى ذلك إلا بنهضة علمية راشدة، لأنَّ التعليم هو حجر الأساس في التنمية المستدامة والسلام والاستقرار في مستقبل قارة إفريقيا؛ وتزايد أهمية الرؤية الاستراتيجية لحل قضايا إفريقيا المعقدة، إلى تدبرنا، واقع الجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، وأخيراً ما يستقبله السودان بعد إزالة نظام الإنقاذ، وغياب عنصر التراضي بين قوى التغيير لتحقيق الاستقرار والتقدم، ولعل الكل يتساءل، ما مصير الانتفاضة الشعبية الثالثة؟ هل ستجح فيما فشلت فيه تجربتا: أكتوبر 1964، وأبريل 1985م؟ وما معالم الرؤية الوطنية المستقبلية الشاملة لمرحلة ما بعد تغيير النظام؟ أم ستراوح

مكانها لتردد شعار(تسقط بس، حتى بعد السقوط) وهل ستنقذ أفكار مالك بن نبي، بلاد مالك في أزمتها الراهنة، وما زال فضاء السؤال مفتوحاً بحثاً عن حلول جذرية لقضايا مستقبل إفريقيا الغامض، حتى الوصول إلى رؤية صائبة؛ عبر تخطيط استراتيجي علمي سليم، يُنتج بناء رؤية دولة، وليس إدارة حكومة، عبر آلية العسكر.

قائمة المراجع

1. محجوب، محمد أحمد. (1999). نحو الغد. الخرطوم: شركة دار البلد.
2. إدريس، كامل. (2016). السودان 2025: تقييم المسار وحلم المستقبل. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
3. أبوصالح، محمد. (2012). التخطيط الاستراتيجي القومي. الخرطوم: شركة مطابع العملة السودانية.
4. ابن نبي، مالك. (1986). شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، عبدالصبور شاهين. دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
5. زريق، قسطنطين. (1976). نحن والمستقبل. بيروت، عمان: مركز دراسات الوحدة العربية، ومؤسسة عبدالحميد شومان.
6. ابراهيم، سعد الدين. (1990). مشروع (مستقبل التعليم في الوطن العربي للقرن الحادي والعشرين: الكارثة، أو الأمل). عمان: من منشورات منتدى الفكر العربي.
7. لويد، ب.س. (1980). إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي. ترجمة: شوقي جلال. سلسلة عالم المعرفة. إصدار رقم 28. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
8. رودني، والتر. (1989). أوروبا والتخلف في إفريقيا، ترجمة أحمد القصير. سلسلة عالم المعرفة. الإصدار رقم 132. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

9. عبد الودود، ولد الشيخ. (2013). القبيلة والدولة في إفريقيا. ترجمة: محمد بابا ولد أشفغ. الدوحة، بيروت: مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون.
10. خالد، منصور. (1993). النخبة السودانية وإدمان الفشل. الجزء الأول. القاهرة: مطابع سجل العرب .
11. ابن نبي، مالك. (2005). من أجل التغيير. دمشق: دار الفكر.
12. ابن نبي، مالك. (2001). فكرة الإفريقية الآسيوية.. في ضوء مؤتمر باندونغ. ترجمة: عبدالصبور شاهين. بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر.
13. ابن نبي، مالك. (2000). القضايا الكبرى، (مشكلات: الحضارة، والثقافة، والمفاهيمية والديمقراطية). بيروت: دار الفكر المعاصر.
14. حمدان، جمال. (1973). وجدان أفريقيا. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للتأليف والترجمة والنشر.
15. المركز الإسلامي الإفريقي. (1978). دستور المركز الإسلامي الإفريقي. ط3. الخرطوم: دار الفكر الحديث.
16. ابن نبي، مالك. (1949). شروط النهضة. ترجمة: عبد الصبور شاهين ، عمر كامل مسقاوي . دمشق: دار الفكر.